بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

المقدمة :

مما شك فيه أنَّ أهمية الشعر والتي أبدع فيها أولئك الشعراء الذين سطروا أعمالاً أدبية أشتملت على كتابة الشعر والهجاء والمدح والرثاء وغيرها من الفنون الكتابية الشعرية .

نشأت هذه الفنون وعمدنا إلى فن الشعر من الفنون التي نشأت في حضن الفن الأدبي منذ زمن بعيد إلى يومنا هذا .

وهو الذي نستمد منه تسمية الحياة بجميع أغراضه المختلفة نجد أنّ أوّل طبعة لديوانه ظهرت في القاهرة 1987م ومرثية حسب الموضوعات ثم لم نجد الشعر فجأة كامل النضج وإنما تطور خطوة بعد خطوة .

إن دراستنا اللغة العربية دراسة متخصصة عندما فكرنا في كتابة هذا المشروع على أن يكون المشروع في الشعر العربي لذا تم اختيارنا لموضوع القيم التربوية في شعر العرب ، وعندما فكرنا في شعرائنا العرب وقع اختيارنا على من صميم شعراء العرب ، وعندما فكرنا في شعرائنا العرب وقع اختيارنا على الشاعر محمد حافظ إبراهيم شاعر النيل .

وكان مؤسس النهضة الحديثة في الشعر أعاد إليه بهجته الأولي ونضارته وقوته ، فاتخذه حافظ مثله الأعلى يحذو حذوه .

المقدمة : محمد حافظ إبراهيم

هو الشاعر الكبير محمد حافظ بن إبراهيم أفندي فهمي المولود سنة 1288هـ ويقول الشعر في كل مكان أن يتفق فيه يخلو بنفسه ، ويتعب في قرض قريضه تعب التجات الماهر في استخراج مثال جميل من حجرة .

يؤثر الجزالة على الرقة ، وله فيها آيات يطرق الموضوع في الغالب من جوهرة وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع شأن الصانع القدير الذي يبدأ بأصعب ما بين يديه أمناً أن تهون عزيمته دون الإجادة بعد ذلك عالماً أن الكلام لابد أن يأتيه أي مقام طيعاً ولو بعد حين .

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ينسب على منوالها ويتخير نفائس مفرداتها وأعلاق حلالها .

له غرام اللفظ لايقل عن الغرام بمعني ، وفي أقصى ضميره يؤثر البيت المجاد لفظاً على المجاد معني فإذا فاته الابتكار حيناً في التصور لم يغنه الابتكار حيناً في التصوير ، أولع الاجتماعيات فقال الأدب وأجاد ماشاء ، فهو على الجملة

أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربي في مصر لهذا العصر ، ولكل من تلك النجوم منزلته واضاءته وأثره .

موضوع البحث :

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل القصائد التي كتبها الشاعر حافظ إبراهيم التي تحمل الكثير من القيم التربوية وأثرها في المجتمع الذي عاش فيه ويحاول الباحثون أن تحلل القيم ونبرز أراء الشاعر حافظ إبراهيم ، وأفكاره كما نبرز الخصائص التربوية في شعره .

أهمية البحث :

تأتي أهمية البحث من أهمية الشعر والنثر بشكل عام والشاعر المعاصر بشكل خاص هو شاعر جديد في العصر الحديث وتنبع أهمية هذا البحث من كثرة الكاتبين عن مثل هؤلاء الشعر فقد كان رحمه الله – دولة من الظرف ، وعالماً من الأنس وجعبة أخبار وظرف ممتاز، وديوان شعر مختار ، وحضانة أدب حافلة مستقل تقرأ من أبدع ما خلفه العرب . وكان رابع الانشاد وحسن الأداء متخير اللفظ موسيقي النظم وكان إلى هذه المزايا الباهرة نفاعاً لأصدقائه كما كان ملازماً للأدباء الناشئين ومشجعاً لهم على السير في طريق النهوض والنجاح .

الأهداف :

يهدف هذا البحث إلى :

- إستنباط القيم والمعاني والأفكار التي سطرها الشاعر فالشعر سواء خاطب العقل أم القلب فهو فكر لذلك نجد أنّ الشاعر حافظ إبراهيم ظل طوال حياته يرمي الأنجليز القاشمين بسهامأبياته المعصمية رافعاً عن الحرية ومصوراً آلام الشعب وآماله .
- الاهتمام بالأدب العربي وشعرائه العباقرة الذين سطروا أسماءهم بمداد من نور على صفحات هذا التاريخ والأرتقاء بهذا الأدب وعلى مايدور فيه بكل وضوح وأمانة .
- الاهتمام بالشعر العربي الذي هو جزء مكمل لإنتاج الشاعر الأدبي كما أن في الشعر العربي مساحة للأديب أن يرسل نفسه بصورة أكثر وضوحاً .
- تعرف المجتمع الاسلامي بحافظ الشاعر لأنه أشتهر بين الناس بأنه شاعر معاصر وأن سيف كلماته تطعن في العدو .

وعرف بأن شعره فيه كثير من القيم التربوية التي هي موضوع الدراسة .

حدود البحث :

حدود البحث في جميع ما كتبه الشاعر حافظ إبراهيم من قصائد جمعت في كتابه بأسم (ديوان حافظ إبراهيم) وهذه القصائد على أنواع مختلفة من القيم التربوية في شعرنا العربي ، فكانت قصائده تشمل الأخلاق واللغة العربية .

منهج البحث :

يستخدم الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة كما هي أي وصف ما هو كائن وتفسيره وتحليله وتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع .

هيكل البحث :

يتكون من مقدمه وثلاثة فصول وستة مباحث :

الفصل الأول : نشأته وحياته

المبحث الأول : مولده ، ونشأته ، ووفاته ، عصر حياته الاجتماعية .

المبحث الثاني : أخلاقه وصفاته ، وتعليمه .

الفصل الثاني : شعره وشخصية حافظ إبراهيم

المبحث الأول : مـولـده و حياته ونشأته

المبحث الثاني : أخلاقه وصفاته وتعليمه.

الفصل الثالث ويتكون من مبحثين

المبحث الأول : شعره وشخصيته

المبحث الثاني : فلفسته وآراءه في الحياة ، وآراء الباحثين والأدباء في شعر حافظ

الفصل الرابع ويتكون أيضاً من مبحثين

المبحث الأول : نماذج من شعره وبيان ما يرمي إليه

المبحث الثاني : القيم الإسلامية

مصطلحات البحث :

تتكون مصطلحات البحث من ثلاث مفردات أساسيات وهي :

القيم – التربية - الشعر وتفصيل ذلك :-

1-القيم :

وبمعناها الاشتقاقي تعني الوزن والتقدير فقد ورد في القاموسي المحيط الرابع ص 198 ما يلي :-

والقيم بالكسر واحده قيم وماله قيمة إذا يدم على شيء وقومت السلعة واستقام ثمنه واستقام أعتدل وقومته عدلته فهو قويم ومستقيم .

وفي تصورنا أن القيم مجموعة القوانين والمقايسس التي تنبثق من جماعة وما تكون بمثابة موجهات لتحكم على الأعمال والممارسات المادية والمعنوية وتكون لها من القدرة والتأثير على الجماعة بما لها من صفة الضرورة اللازمة والعمومية وأي خروج عليها أو انحراف عنها يصبح بمثابة خروج عن أهداف الجماعة ومثلها العليا .

ولذا فإن القيم هي :العنصر العام الذي يحقق الصلة بين الأنساق الاجتماعية والانساق الثقافية كما أنها في التطبيق الفعلي للمبادئ والمفاهيم النظرية .

ومن هنا يمكننا تحديد مصادر القيم وينابيعها على النحو التالي :

1-طبيعة العصر ومطالبه .

2-طبيعة المجتمع وأهدافه .

3-شخصية المواطن .

وبذا فإن التفسير التربوي للقيم يعني أن :

(التربية في جوهرها عملية قيمية سواء عبرت عن نفسها في صورة واضحة أو ضمنية وأن المؤسسة التعليمية بحكم ماضيها وحاضرها ووظائفها وعلاقتها بالإطار الثقافي الذي تعيش فيه مؤسسة تسعى إلى بناء القيم في كل مجالاتها الخلقية والنفسية والاجتماعية والفكرة والسلوكية).

2-التربـية :-

(وكلمة تربية لغوياً هي مصدر الفعل ربَّي يربيَّ فنقول مثلاً ربَّي الولد أي أنشأه أي جعله يربو أو غذاه أو ثقفه أو هذبه أو أدبه ونقول ربّي الشيء وزاده) .

أما معني التربية اصطلاحاً فهو التنشئة والتنمية ولكن هناك تعاريف كثيرة للتربية اختلفت باختلاف نظرة المربيين وفلسفتهم في الحياة ومعتقداتهم التي يدينون بها ، وحتى أن أرسطو الحكيم اليوناني لايجد وصفاً كافياً فيما إذا كانت التربية بالفضائل العقلية أكثر من عنايتها بالفضائل الخلقية .

وأن التربية في جوهرها :-

(عمليات نفسية واجتماعية تصدر عن شخصية الإنسان بجملتها جسماً وفكراً ووجداناً وإرادةى وخلقاً – تتحقق على غير جوهرها إذا شملت تلك النواحي وعملت على تكاملها وهي إنما تفهم طبيعتها بالاستناد إلى الفكر الإنساني وتطور العلم الحديث في مجال العلوم السلوكية خاصة والممارسة الواقعية والتجريب وتحتاج إلى سند من التحليل الفلسفي والتحليل العلمي يعني الأول خاصه بالأهداف والغايات والثاني خاص بالأساليب والعمليات .

وكما أن التربية :-

(علم يرمى إلى مساعدة الطفل والمراهق البالغ على تكوين شخصيتهم وتنميتها) .

وهي التربية :-

(نظام اجتماعي ينبع من فلسفة كل أمة).

كما أن التربية :

(عملية نمو بمعني أن العرض الأول والأهم والطريقة المثلي والأخطر هي أن تكون التربية مجالاً لنمو المتربي جسداً وعاطفةً وعقلاً واجتماعياً ومعرفة ومهارة أنها نمو للشخصية الانسانية كاملة بوصفها كلاً لا يتجزأ وبوصفها جسداً ونفساً وعقلاً وعاطفة وعملاً وبوصفها مواقف وتصرفات ومشاعر ونوايا ومفاهيم وأعمال .

وعلى هذا النحو تكون التربية من الوجهة الأولي علماً معيارياً ومن الوجهة الثانية اجتماعياً يعبر عن روح العقيدة السائدة في أمة من الأمم ومن الوجهة الثالثة حوضاً خصباً تتكامل فيه كل مطلبات المتربي .

ومن هنا يتجلي واضحاً الارتباط الوثيق بين كلمة تربية وكلمة قيم ويمكن هذا الارتباط في :-

(ميدان النظرية الأخلاقية بالميدان التربوي إرتباطاً كبيراً ويتمثل هذا الارتباط من ناحيتين على الأقل فمن ناحية نجد أن توجهها أهداف ومفاهيم وقيم أساسية ترتبط بما يجب أن يتجه إليه النمو الانساني الذي تعمل التربية على تحقيقه في أفراد البشر ومن ناحية أخرى تهدف التربية على تحقيقه في نهاية المطاف وفي جميع عملياتها المختلفة وبأساليبها المتنوعة إلى تكوين الشخصية الأخلاقية لدي الصغار وهذه الشخصية التي تكتسب في النهاية سلوكاً أخلاقياً من نوع معين ومن هنا كان على التربية أن تجد في الحالة الأولي المفاهيم والقيم والأهداف التي توجهها حتى تتضح أمامها الرؤية الصافية في طريق التعلم .

وفي الحالة الثانية عليها أن تعرف طبيعة الشخصية الأخلاقية التي تهدف إلى تكوينها وطبيعة السلوك الأخلاقي الذي تهدف إلي إكسابه للتلاميذ .

3-الشعر :

(رغم قِدم هذا الفن وإنتشاره فإنه ليس من السهل وضع تعريف له وقد حاول الكثيرون أن يتعرضوا لذلك وأن يدرسوا طبيعة الشعر ، ومنذ عهد أرسطو حتى الوقت الحاضر وقد ظهر – نتيجة لذلك – حشد عظيم من التعريف التي لا تكاد تتفق على شيء حتى تختلف في أشياء – وربما كان ذلك راجعاً إلى اختلاف الأشخاص والعصور فالشعر في ذاته أو طبيعته لم يتغبر ولكن الذي يتغير هو فهم الأفراد والجماعات له في البيئات والعصور المختلفة .

فإذا قلنا أن كل إنسان يعرف ما الشعر لم نكن مغالين لأنه ليس من السهل حتماً أن يفهم الناس الشعر مفهوماً واحداً وأنّ الشعر – كالأدب في عامته – طبيعة مرنة تتشكل بحسب رغبة كل إنسان وفهمه .

كما أنه (من المعروف أن الشعر كان فن العرب الأول فقد كان ديوانهم وفنهم القومي ومنظم الخصائص الصوتية في لغتهم ومنميها كما أنه محمدة الأدب وعلم العرب كما كان وسيلتهم ليقظة الذهن وتنظيمه ولإرهاف الوجدان والعناية بالتأمل بل لقد توسعوا فجعلوه إطار محكماً للعديد من المعارف وأصبح في إمكان كل الناس أما بعمق الإبداع أو المناقشة أو عمق الاستماع .

الفصل الثاني

الفصل الثاني

المبحث الأول

مـولـده :

لم يعرف بالضبط تاريخ مولدهولم يعرفه حافظ نفسه ، كما أقرَّ بذلك وقد عرض على القومسيون الطبي عندما أريد تعينه في دار الكتب ، فقرر سنة تسعاً وثلاثين ، وكان الكشف الطبي عليه يوم 4 فبراير سنة 1911م برئاسة الدكتور بتسي وهو هذا السبب الذي اعتمد عليه من قال أنه ولد يوم 4 فبراير سنة 1972م وهو سبب وأهٍ كما ترى .

كتب حافظ بخطه ما يأتي : ولدت في ذهبية (اي حراقه) بالنيل بالقرب من قناطر (دبروط) بالصعيد .

حياته ونشأته :-

حوالي سنة 1872م كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة (ديروط) في أعلى الصعيد ، وكان يسكنها إبراهيم أفندي فهمي أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط وزوجته الست هانم.

ولد لهذه الأسرة في هذه السفينة مولد سموه (محمد حافظ) وهو شاعرنا ، فكان ذلك إرهاصاً لطيفاً وإيماء طريفاً ، وإذا شاء القدر ألا يولد شاعر النيل إلا على صفحة النيل .

كان أبوه إبراهيم فهيمصرياً صميماً وكانت أمه هانم بنت أحمد البوصه لي من أسرة تركية الأصل تسكن المغربلين تعرف بأسرة الصروان إذا كان والدها أمين الصرة في الحج فلقب بالصروان (القيّم على الصرة) ولقبت الأسرة به .

ومع أن الدم التركي كان يجري في عروقه كالدم المصري لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والسودان .

وما في حافظ من دم تركي ديمقراطي ، ولأن تركية شوقي غذتها بيئة القصور التي تربّي بها وعاش في أكنافها ، وتنفس في جوها وتركية حافظ غلبتها حياته البائسة في أوساط الجماهير ، واندماجه في غمار الناس ، يعيش عيشتهم ويحيا حياتهم فماتت عصبيته التركية إلا نادراً ، وإذا شعر حافظ في ذلك لم تري عصبية جنسية وإنما عصبية دينية ووطنية ، فهو يفخر بنصرة الترك لأنها نصرة الإسلام ويخشى الخلافة لأن في ضعفها ضعفاً لدينه وفي النيل منها نيلاً من وطنه.

لم يعش أبو حافظ طويلاً بعد ولادته ، ولم يرزق ولداً غيره وقد توفي إبراهيم في دير وط وحافظ في الرابعة من عمره ، فانتقلت والدته إلى القاهرة ونزلت عند أخيها فتولي أمره وقام بتربيته ، أدله خاله إلى مدرسة تسمي المدرسة الخيرية كان القعلة وكانت مكتباً تعلم فيه القراءة والكتابة وشئ من العربية وشيء من الحساب.

ثم دخل مدرسة القِربية وهي مدرسة ابتدائية يُعلم فيها ما يُعلم في المكتب على نمط أرضي .

عصر حياته الاجتماعية :

كان معاصر شوقي الشهير حافظ إبراهيم ، يشاركه شهدته في الوطن العربي ، ورغم كان يهدف شيئاً من الفرنسية إلا أنه بقي وثيق الاتصال بالتراث القديم ومن دون أن يفقد ميزاته الخاصة وشخصيته الشعرية لكن النقاد لم يلتفتوا كثيراً إلى الصفات الفنية التي أختص بها بل يدل ذلك على تجديدات الشاعر في الموضوع وقد كانت أغلب مواضيع شعره ترتبط بالأحداث والمناسبات العامة وتكشف عن اهتمام عميق بمشكلات الفقر في بلاده والواقع أن حافظ كان شديد الإيمان بوظيفة الشاعر الاجتماعية والعامة ، والكتابة عن جميع الأحداث الكبيرة في العالم . كان مفهوم العامة الالتزام لديه يختلف عن المفهوم الحديث ولكنه كان يشعر أن من واجبه المشاركة في جميع الفعاليات الاجتماعية العامة .

وقد كانت صداقته مع زعماء الإصلاح في مصر مثل (محمد عبده – مصطفي كامل – وسعد زغلول وقاسم أمين) مما زاد في اندفاعه نحو ذلك الاهتمام الذي كان قد أصبح زيّاً في عصره .

وقد استطاع حافظ أن ينال في مواضيعه الشخصية وشعره الاجتماعي شهرة أكبر من شهرة شوقي الارستقراطي غير أن شعره الاجتماعي هذا الذي كان السبب الأول

في شهرته ولعله لهذا السبب أنطون كدم يخلص إلى قوله : (أن حافظ لم ينتج سوى نوع معين من الشعر الغنائي ، جماهيري ، سطحي ، خطابي ، قوته أنّه (يستمد) يستدعي استجابة عاطفية شعبية ، ولعله كان ينظر حافظ أكثر من قيمة تاريخية وأيضاً بنظر إلى أشهر قصائده المتداولة ولذا فهو لا يجد في شعر حافظ أكثر من قيمة تاريخية .

غير أن هذا حكم متسرع لأن حافظاً كان يمتلك صفحات شعرية خاصة به ، خارجه عن نطاق (الموضوع) الشعري وما تزال قيمة لدارس الفن الشعري كفن.

وفـــاته :

توفيت والدته حوالي سنة 1908م فظل يعيش وحده مدة في بيت خاله ، وبعد أن توفي خاله كان يعيش مع زوجة خاله نيازي بك الست عائشة هانم ، فكانت تدبر بيته وتقوم بأمره وكانت لم ترزق بأولاد فكانت تتبني بنتين وظلت تقوم بشؤونه ، إلى أن توفيت قبل وفاة حافظ بنحو ثلاث سنين .

وفي بيت صغير بالزيتون في ضواحي القاهرة ، توفيِّ حافظ في الساعة الخامسة من صباح الخميس 21 يوليو 1932م ، أي بعد إحالته إلى المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف .

دعا في ليلة وفاته صديقين من أصدقائه لتناول الطعام معه ، ولكنه لم يستطيع مشاركتهما لما أحس من تعب ، فاقتصر على آنسهما بحديثه .

وبعد إنصرافهما إزداد ألمه ، فأسرع خادمه إلى مخاطبة صديق ليحضر ومعه طبيب ، فلما حضرا ، كان حافظ في النزع الأخير وما لبث أن فاضت روحه ، رحمه الله .

المبحث الثاني

أخلاقه وصفاته وتعليمه.

أخلاقه :

إنتاب حافظاً كثير من الشدائد فقد كان والده صغيراً ، ولم يورثه ثروة وكان بائساً في بيت خاله ، ولم ينجح في المحاماة ، وأصيب في منصبه فأقبل إلى الاستيداع ، ثم إلى المعاش في مقتبل عمره وكانت له إلى هذا نفس شاعره ، وحس مرهف ، فأثر كل ذلك في نفسه أثراً بليغاً ، فهو ناقم على الدهر ، ناقم على قومه ، يكثر من شكوي الزمان وشكوي الناس .

ولكن أبت الطبيعة إلا أن تجد لثوران نفسيته ولشقائه مسعداً ، فمنحته القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة والنادرة المستملحة فضحك من البؤس ومن الشقاء ومن كل شيوكان له ذوق بارع في اختراع النكتة من كل ما يدور حوله فما يسمع حديثاً أو يعرض أمامه شيء حتى يدرك موضع الفكاهة منه فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من أعماق صدورهم وقرارت قلوبهم فكان في مجالسه موضع إعجابهم ، ومنبع سرورهم يرسل النكتة من بديهة حاضرة ، فتستحق الوقور فهو زينة المجلس ، وبهجة النادى .

ومن العجب مع هذا أنك قلما ترى للنوادر والنكات في شعره مجالاً ، فمن قرأ شعره ، ولم يعرف شيئاً من صفاته ، لا يشعر بأنه كان فكهاً مزَ احاً ، وسبب ذلك أن الأديب في كثير من الأحيان تكون له صفات جميلة .

صفاته :

ولم يعرف شيئاً من صفاته ، ولا يشعر بأنه كان فكهاً مزاحاً ، وسبب ذلك أن الأديب في كثير من الأحيان تكون له شخصيتان أو أكثر ، فله في حياته العاملة شخصية خاصة ، فإذا أراد أن يصوغ شعره أو نثره إنصب في قالب خاص وتقمص شخصية أخرى ، ولو قد أتيح له أن يُدخل كثيراً من فكاهته في شعره ، لريحنا من وراء ذلك الشيء وسبب آخر ، هو أن الناس كانوا ينظرون إلى هذه النوادر ، كأنها من الأدب الشعبي الذي لا يصلح أن يرتقي إلى الأدب ، قلّ أن يدخلو – حتى الآن

قصة حافظ إذا قال شعراً في فكاهة أو مزح ، عده من سقط متاعه ولم ينظر إليه عندما يتخير شعره للنشر أو التدوين وتعود في حياته ألا يقيم للمال وزناً فهو كريم واسع العطاء ذاق طعم البؤس ، فعرف موقعه من الناس فسخت كفه وندیت راحته حتى لو ملك الدنيا يفرقها في يوم واحد قد يعرض له الفقير البائس فيسمح له بما في يده كان كريماً على الناس فهو كريم على نفسه يمتعها بما تشتهي ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، يأكل خير ما يؤكل ، وقد عرف إخوانه بيته بذلك ويستمتع بكل ما تصبوا إليه نفسه ، فإذا فرق جيبه عرف كيف يصبر ، له صناع في الكسب، خرقاء في الإنفاق ، فهو حريص في بقائه في العمل بدار الكتب أشد الحرص ثم هو واسع الصدر غضوب أشد الغضب ناغم أشد النقمة ، حريص على منزلته في فنه أكثر من حرصه على شخصه.

ومن صفاته أيضاً أنه كانساذجاً وسطحياً إلى حد غير قليل.

تعليـمه :

وثقافته الرسمية إن جاز التعبير– ثقافة محدودة فهي لا تعدو دراسة في مكتب أو مدرسة ابتدائية ثم دراسة فنية وماتسلزمها في المدرسة الحربية .

ولكنه أكمل ثقافته ، ووسع معارفهمن نواحٍ متعددة فقد أكثر من قراءة كتب الأدب ، وأطال النظر خاصة في كتاب (الأغاني) فقد حدَّث أنه قرأه مرات .

إنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء ويتخير من شعرهم ويحفظ ما يتخير من أمثال شعر بشار بن برد ، ومسلم بن الوليد وأبي نواس وأبي تمام والبحتري والشريف الرضي وابن هاني الأندلسي وابن المعتز والعباس بن الأحنف وأبي العلاء المعري .

يدل ذلك على ما كان يحفظ من مثنخل عيون الأدب وعيون الشعر فإذا جلست إليه أخذ بمسمعك من محفوظه ما يبهرك حتى لقد قيل أنه لو دوَّن ما يحفظه لفاق أبي تمام في اختياره في (ديوان الحماسة) إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر وروح العصر . وكان له حافظة قوية وذوقةٍ وتلبي إختياره فيما يختار جيداً من القول حتى يرتسم في حافظته ويبقي في ذاكرته ، ثم يتجلي ذلك في شعره ولكنه مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة ولم يقرأ قراءة مستفيضة في عمق ولم يرسم له خطة يلتزمها في الدراسة بل كان كالنحلة تتنقل من زهرة إلى زهرة وترشف في هذه رشفة ، ومن تلك رشفة فهو يرضي ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة ، فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اختزنه في نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الذاتية المنظمة ، أنه كان مأمول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ، عمل في المحاماة فلم تعجبه واشتغل في البوليس فمله وفي الجيش فسئمه ولو أنه كان حواً طالیقاً إلى حد كبير وفي دار الكتب فملها أيضاً ثم كانت هذه الفوضي في قراءته يتبعها إهمال في حياته الأدبية فقلما يكتب قصيدته وقلما يحافظ على شعره ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعني أن يكون في بيته دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة كان لديه كتب تبعثر فيأتي زائر ويأخذ جزء من الأغاني وجزاء من غيره حتى إنه لما مات – رحمه الله – لم يكن في بيته من الكتب غير جزء من تذكرة داود وجزء من تفسير الأحلام لإبن سيرين فأما الأول فلأنه كان دائم الشكوي من المرض كثير توهم العلل ، فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ولعله اقتني تذكرة داود ليرجع إليها فما يتخيل من أدواء وأما تفسير الأحلام فلأنه كان يعتقد في الرؤي وأثرها في حياته وكان يرجع إليه في التنادر على بعض الأصدقاء فقد حدثنا أنه كان في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا في مسجد وصيف وكان حافظ وصحبه تنادرون على صديق من الأضياف وكان يعتقد في الأحلام وصحتها ويتفاءل بها في آماله في منصب كبير أو مطلب خطير وشيء آخر مصدراً من مصادر ثقافته وهو كثيرة غثيانه بمجالس العلماء وقادة الرأي في الأمة فقد اتصل بالاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وعدّ نفسه فتاه وكان يحضر دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس ويجلس في مجالسه وقد يصحبه في أسفاره ثم يغشي مجالس أمثال سعد زغلول وقاسم أمين مصطفي كامل ونحوهم وكانت مجالسهم من أرقي المدارس وتطرح فيها المسائل الاجماعية وتعرض وماإلي ذلك.

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية فمكنته من الإطلاع على شيء من آدابها وقد ترجم (البؤساء) لفيكتور هوجو، وترجم بعض قطع لجان روسو واشترك مع الاستاذ خليل مطران في ترجمة (كتاب موجز الاقتصاد) وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الإنجليزي) كما تري أثر ذلك في ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال لم ينل حظاً وافراً من الأدب الغربي ولم يكن أثر ذلك كبيراً في شعره إنما شعره على الأكثر – نتاج الأدب العربي- والثقافة العربية ، والتجارب الشخصية .

وأخيراً -إن شئت أولاً – كان من مصدر ثقافته وتجاربه الواسعة فقد أتاح له بؤسه الامتزاج بغمار الناس ومجالستهم ومشاركتهم في الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر ، كما مكن له ظرفه وأدبه أن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حماسة من حماستهم ، ويمتليء وطنية من وطنيتهم.

الفصل الثالث

الفصل الثالث

المبـحث الأول: شـــعره

منحت حافظ عاطفة قوية، ونفساً فنية سمت به عن أقرانه من نباتة العصر، ومن طلبة المدرسة الحربية التي كان بها، وإلا فما الذي جعله وسط صليل السيوف والتدريب العسكري وترويض الخيل، يتجه نحو الشعر يطالعه ويتذوقه، ويحفظه ثم يحاول أن يقلده وينظم على غراره وكان له أسوة حسنة في محمود سامي البارودي باشا فقد تخرج في المدرسة الحربية ، وتعلم فنونها ، وترقي في رتب الجيش وخاضا معاً مع القتال ، وكان ربَّ القلم ، كما كان السيف وكان مؤسس النهضة الحديثة من الشعر ، أعاد إليه بهجته الأولي ونضارته في الحياة مبلغه فيكون ذا الدئاستين ، وحامل اللواءين ، وقد عبَّر عن تقديره له للبارودي وإعجابه به في قصيدة من قصائده بمدحه ربها إذ يقول فيه :

أمير القوافي إنَّ لى مُستهامةً *** بمدح ومن لي فيه إن أبلغ المدى

أعدني لمدحيك البراع الذي به *** تخط وأقرضني القريض المسددا

ومُد كل معني فارسلي بطاعني *** وكـــل ثغور من أن يتودَّدا

وأربو على ذلك الفخور بقوله *** إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

ومدحه في هذه القصيدة بالإجادة في الحماسة والنسيب واللعب بالسيف والتفنن في التشبيب ، فكأنه في مدحه البارودي يرسم لنفسه مثله فقد عني الباروي بالتخير من شعر الفحول ، فأختار الثلاثين شاعراً من الشعراء المولودين ثم أنشأ شعره وجود نظمه ، وكذلك جمع مختاره ما عهد فيه من إهمال ولولا نعمة الصحف والمجلات تنشر له بعض ما نظم ، لكان مصير شعره مصير مختاره .

على أنه يخيل لي أن حافظاً لم يخلق رجل قتال ، نعم كان منظره رجل حرب ، فهو مستحكم الخلقة ، وثيق التركيب ، مفتل الساعدين ، عريض المنكبين ، ولكن لا أظن أن قبله يشاكل جسمه ، لقد ظل وهو في السودان يشكو في شعره حرة ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة وترفها ونعيمها .

فمن لي أن أري تلك المغاني *** وما فيها من الحسن المقيم

وها أنا بين أنياب المنايا *** وتحت براثن الخطب الجسيم

أتيتك والخطوب تذف نحلي ***ولي حالٌ أرق من السديم

وهكذا ظل في السودان يبكي ويتوجع ويتشوق ويشتغيث بالأستاذ الإمام المرة بعد المرة أن يردَّه إلى مصر (رد الشمس قطرة المزن أصلها ورد الوفي الأمانات إلى أهلها) وليست هذه بالنفس الحربية ثم لما ثار الضباط في السودان وهو منهم وطردوا وعادوا إلى مصر وأحيل إلى المعاس ، ولم ينطق بشكوى ولم يثر على من ظلمه ولم يهوج يهوج من نكبه ولكنه سكت واستسلم وأخذ يسعى إلى وظيفة في القصر .

قامت بعد ذلك حركة في مصر من بعض الأدباء المثقفين ثقافة غربية وبعض قادة الرأي تعيب على الشعراء هذا الشهر التقليدي في أسلوبه وفي إعراضه وفي أوزانه وقوافيه وتنفيذ شوقي وحافظاً مرالنقد لأنهما قديمان في أفكارهما مقلدان في أغراضهما ، محافظان في أوزانهما .

كان من آثار هذه الحركة في حافظ أن ثار هو أيضاً على الشعر القديم فقال قصيدته المشهورة في الشعر ، والتي مطلعها :

ضعت بين النهر وبين الخيال *** ياحكيم التقوى ياابن المعالي

عاب فيها على شعراء شعرهم في الكأس والطأوس والمدح والهجاء والرثاء ، وحب سلمي وليلى ومكان الآثار والأطلال ، والرحال والجمال ، ثم يقول :

آن ياشعر أن نفك قيوداً *** قيدتنا بها دعاة المحال

فأرفعوا هذه الكمائم عنا *** ودعونا نشم ريح الشمال

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم ، فهل جدد حافظ بعد في شعره لم يجدّد في بحوره وأوزانه ولميجدد في أسلوبه وبيانه ولا تفكيره وخياله ، إنما جلاّ في شيء هو فوق ذلك كله ، جدّد في موضوعه وأغراضه فبدلاً أن ينظم في موضوعات أمرئ القيس وطرفه أو جرير والفرزدق أو بشار وأبي نواس ، نظم في موضوعات عصره وأماني قومه .

وساعده على هذا الاتجاه تربيته الحربية ، فإن فشل في حرب السيف فليحارب بالقلم ، وأن تكرست بصحة فيشرع سنّ قلمه ، وإن أخطأ النجاح في ثورة الضباط في السودان ، فليكتب له التوفيق في إثارة الأمة على الاحتلال .

ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت في شعره آمال أمته أولاً وآمال الشعب العربي.

كانت الأمة تشكو من فوضى الأخلاق وتشكو من الاحتلال وتشكو من تضييق الغرب على الشرق، وكان زعماء الوطنية يلهبون حماسته، ويشعلون غيرته، وكان الخطباء يحاولون إيقاظه – وكان حافظ – مماله من حس مرهف وعاطفة حساسة يجتمع كل ذلك في نفسه، فلما ثار على الشعر القديم وحطمه بنى على أنقاضه شعره الجديد في الوطنيات والاجتماعيات والسياسات، وكان في شعره يقف موقف الصحافة الوطنية والخطب الوطنيين وقادة الرأي الاجتماعيين يغشي مجالس كل هؤلاء ويشرب من أرواحهم ويستمد من وحيهم ويغذي عواطفه من عواطفهم ثم يخرج ذلك كله شعراً قوياً ملتهباً في النفوس وذلك شان الشعر الحي وما لا تفعله الخطب والمقالات فكان حافظ – حقاً – شاعر الوطنية – وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره أحد في ذلك من شعراء عصره.

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة ، فتارة يقرع الأمة تقريعاً جارحاً مؤلماً على استكانتها وإخلالها إلى السكون واستسلامها للأجانب وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل والتشاؤم واضطراب الأمة بين اليقظة والنوم ، والعمل والتواكل والاصابة والخطأ فهو صدى لها في حركاتها ، وهو المدّرس الحكيم الذي يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

لم يشأ حافظ أن يكون شعره في وطنياته طبلاً أجواف يقول القول عاماً لا يستند إلى مادة من حقائق وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية في عصره أساساً لدعوته وسناداً لهجمته .

فقد كان يتبرص كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعاً لشعره ويملؤه بما يجيش في صدره .

تقوم حركة الجامعة ويحتدم الجدال بين أنصار الكتاتيب وأنصار الجامعة فيناصر الحركة الوطنية ويدعو إلى التبرع للجامعة ويبين مزاياها ، ويكتتب هو الشعر - كما يقول – ليكتتب قومه بالمال .

كان في شعره سجل الأحداث إنما يسجلها بدماء قلمه وأجزاء من روحه ويصوغ منها أدباً قيماً تستحث النفوس ويدفع إلى النهضة ، سواء أضحك في شعره أم أبكي وأمل أم يئس .

وتسع أفقة في كثير من الاحيان فينظر إلى الوحدة العربية ، والوحدة الاسلامية ، فكم قال في علاقة الشاميين والمصريين وفي الدعوة إلى الإخاء والقضاء على من يبزر بذور البغضاء ، وكم قال في علاقة مصر بالاستانة وتنمي نهضة الخلافة ورفع لوائها وعودة مكانتها وكم شعر في وحدة الشرق وتعاونه وتبادل المنافع بين أجزائه فكان شعره مقرباً للقلوب ، داعياً إلى ائتلاف الشعوب وينتهز لذلك كل فرصة كافتتاح السكة الحديدية الحجازية وأعياد الدستور للأمة التركية وحفلات التكريم التي يشترك فيها أدباء الشرق ونحو ذلك بل يزيد اتساع أفقه ومما يتصل بناحية – حافظ الاجتماعية أشد اتصال ، شعره في الرخاء فقد أكثر منه ، كما في ديوانه ، وقد قال في ذلك عن نفسه :

إذا تصفحت ديواني لتقرأني *** وجدت شعر المراثي نصف ديواني

وقد أجاد فيه كل الإجادة وأحسن كل الإحسان فسبب ذلك أنه استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من مسألة فردية إلى مسألة اجتماعية فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر ، وعلى العالم الاسلامي وموت مصطفي كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد تصوير الفقيد صورة كاملة إلى المسائل العامة الاجتماعية وبذلك يجلس حافظ على عدسته ويقول في سهولة وجزالة ما برع فيه وفاق أقرانه .

ظل حافظ يغني شعره التقليدي- أولاً – والجديد ثانياً نحو خمسة عشر عاماً تنتهي سنة 1911م لما عرضت عليه (وظيفة در الكتب) .

وطبيعي أن الوظيفة الحكومية لم تكت تتفق وشعر حافظ السياسي والاجتماعي فهو يدعو المصريين إلى الثورة والأنجليز إلى الجلاء وحرام على الموظف وقتذاك أن

يتكلم في السياسة وأن يتصل بالجرائد فكيف يسمح بالشعر السياسي عامة وبشعر حافظ خاصة .

وقد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصها التنوع كما أشرنا إلى ذلك قبل فلا تجد كثيراً من شعره في جمال الطبيعة بل لا تجد شعره فيها حياً كما ترى في قصيدته في الشمس .

وسبب ذلك - على ما يظهر – أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تماماً المخالفة لمظهره الخارجي ضحوكاً مرحاً لا يراه الرائي حتى يضحك من ضحكه ولا يكون في مجلس حتى يملأه سروراً وضحكاً ولكنه في أعماق نفسه حزين كالشمعة تضيء وهي تحترق ، أو كالمثل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو في نفسه يذوب حسرات .

وهذا ما يعلل أيضاً ضعف الفكاهة في شعره وقوتها في مجلسه وهذا يعلل أن نصف شعره رثاء كما هو .

وأيضاً في أحد وجهي الوطنية أكثر مما أجاد في وجهها الآخر ذلك أن الشعر في الوطنيات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والتشاؤم والتأهيل وعدمه والترغيب والترهيب والمدح للتشجيع والذم فأجاد حافظ في التشاؤم وفي الترهيب وفي التقريع أكثر مما أجاد في التفاؤل والترغيب والتشجيع لأن الضرب الأول أنسب لحزنه وأقرب إلى نفسه والثاني يحتاج إلى مقدار كبير من الأمل والأمل يحتاج إلى سرور .

فخير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة وهذه العاطفة القوية بحثت لها عن الثوب الذي تلبسه حتى عثرت عليه فكانت صيغتها قوية وموسيقاها قوية يفتش عن اللفظ حتى يجد انسبه لنفسه وانسبه لمعناه ويعرض المترادفات ويعمد إلى الأساليب يتصفحها يوائم بين المعني واللفظ والأسلوب وكان حافظ يسمى هذه العملية كلها التذوق .

فلمّا توفي حافظ جمع الأديب السيد أحمد عبيد طائفة من شعره ولم تنشر في ديوانه ونشرها بدمشق سنة 1351هـ وكذلك فعل في شوقي وجمع ما نشر في رثائهم وبعض ما كتب عنهما ، وسمى كتابه (ذكري الشاعرين)

شعره فشعر البيان وإن منالبيان لسحراً وحمل القلم وأعلن نفسه شاعراً وكان شعاره (دمع السرور مقياس الشعور).

شخصيته :

محمد حافظ إبراهيم ، عاش فرح الحزن العميق ، بين البطالة والتعليم غير المنتظم وغير المكتمل وبين البحث في مهنة حرة بلا شروط مهنية أو جامعية في آنذاك كان ثنائياً في شخصيته وسيرته وشعره . فهو في عمله ملول وفي إنتاجه وماله متلاف ، وكان عسكرياً مدنياً ، اختار النقيضين لجسم واحد (الضابط والشاعر) و (السيف والقلم) العسكري الارستقراطي والمدني الديمقراطي .

وكان يظن بخياله أنه يقلد محمود سامي البارودي فإذا به يبتكر لنفسه نموذجاً تناقضياً له جمالياته وعثراته عاش بلا عمل بين عامي 1903م وحتى 1911م حاول أحمد شوقي مساعدته عمل العمل (محرراً) في جريدة الاهرام فلم يفلح ، حين أجتمعت في شخصيته صفتا العتاة الأبطال عام 1906م أي في غير بطالته ، تزوج للمرة الأولي والأخيرة ودام زواجه أربعة أشهر ولم يكرر التجربة الثانية إنه لأجل كلالة توفي بلا أب وبلا ولد أبتر وراءه دواوين شعر ، لولا قيام أصدقائه بجمعها ونشرها لصارت هي أيضاً بتراء .

المبحث الثاني

فلفسته وآراءه في الحياة ، وآراء الباحثين والأدباء في شعر حافظ :

كما ذكرنا فإن ثقافة حافظ المحدودة لم تهئ له تلك الجزالة اللغوية التي نبعت من الصياغة العربية للنماذج الشعرية التي اختارها البارودي ، وإن ذلك يمثل منحنى مقبولاً حيث تخفي آثار الاحتزاء فكما يقولون : (رُبَّ ضارة نافعة) ولكن النفع أيضاً قد شابه ما يقربه من الضرر حيث لايستطيع معجمه الشعري أن يستوعب نضارة الصياغة الفنية فيجنح إلى البساطة السامية ، ويفتقد عمق الفكرة ويهمل جودة الأداء فيضطر إلى الاتكاء على الأداء اللفظي مستخدماً ما تنتجه الأدائية أحياناً من موسيقية لفظية ولكن هذه الموسيقية اللفظية لا تتجاوز الشكلية الأدائية ومن ثم تفتقد صور فخامتها والتصاقها بالتركيب اللغوي القديم حتى يعاد تركيبها ، فهذا التركيب الجديد لايتطاول إلى نضاته الذاتية فيصبح ضجيجاً لفظياً .

أما قصيدته عن اللغة العربية فهي قصيدة مفككة مسطحة لايشفع لها سوى حسن نية صاحبها أو قائلها : (حافظ) ولكن الشعر يصنع من كلمات وليس نبات، أية لغة هي التي تصنع الحضارات وإنما يخطئ فهم بسائط الأشياء ، فليس اللغة حسب قوله ويكون من خطل القول كذلك – مايظنه (حافظ) أن مجرد آلة هي ما تطمع إليه اللغة أو أن تفخر بقدرتها عليه ولنتذكر وصفه للقطاع مما سيري فيما يشير إلى سوء فهمه أن عزة الأقوام تأتي من عزة لغتهم وواضح أن العكس ، ولا معنى لفخره باللغة العربية على لغات الغرب بأن اخذناها عن (رواة) اللغة بين الغرب ليس لهم (رواة) للغتهم.

أصبح حافظ يعتلي ذروة الشعر العربي الحديث فهو وشوقي حتى يقول : أحمد ذكي أبو شادي .

إن اسم حافظ لن ينسي في تاريخ الشعر العربي ، بل صار يعد زعيماً من كبار الزعماء الوطنيين المخلصين يتغني الشعب بشعره ويفضله على سائر الشعر كما قال بعض الأدباء ، اجتمع لحافظ من متخير القول ، ومصفي الكلام ، شعراً ونثراً ، مالم يجتمع لشاعر ويساويه النقاد بشوقي وآخرون ويعلون من منزلة شوقي ويقولون ما قاله الزيات بأنه كان شاعر القريحة وشوقي شاعر العبقرية .

فلحفاظ شعره الوطني والاجتماعي والملحمي ومراثية وشكواه للزمان ، وحافظ أجزل لفظاً وأسلوباً .

لقد بزغ نجم حافظ بوفاة البارودي في زمن تألق فيه نجم شوقي وصبري وشكري ومكرم ومطران فتصدر الميدان وحاز قصب الرهان في كثير من الأحيان .

وكان حافظ إبراهيم مشهوراً بديباجته والنقاد والأدباء والشعراء يحبون في شعره هذه الديباجة الجميلة والتي تتمثل في جزالة ألفاظه وصناعته الشبيهة بصناعة البحتري وأبي تمام محافظاً على عمودية القصيدة وصياغتها القديمة حتى قال س شوقي من قصيدته في رثاء حافظ ، ينوء بشعره وشاعريته .

ما زلت تهتف بالقديم وفضله *** حتى حميت أمانة القدماء

جددت أسلوب الوليد ولفظه *** وأتيت للدنيا بشعر الطائي

يقول : إن شعر حافظ جمع إلى بلاغة أسلوب البحتري روعة معاني أبي تمام .

وكان حافظ في الطليعة من شعراء لعصر ، وابتكر في شعره نهجاً تّميز به عمن يعاصرونه من الشعراء ، اسلوب ساحر ومعني جميل وعذوبة ألفاظه ورشاقة عباراته وخفة موسيقي وروح التجارب وثيق بين المعني والمبني .

كان في شعره من موسيقي البحتري وأسلوب الشريف الرضي وحلاوة مهيار ونسيج البارودي كثير من الخصائص الفنية التي يعرفها في شعره النقاد .

قد كان يدعو مع دعاة جديد إلى التجديد في أغراض الشعر فيقول مثلاً :

إن بالشعر أن نفك قيوداً َ *** قيدتها بها دعاة المحال

فارفعوا هذه الكمائم عنا *** ودعونا نشم ريح الشمال

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم ، فهل جدد حافظ بعد في شعره بما يحدد في بحوره وأوزانه ولم يجدد في أسلوبه وبيانه ولا تفكيره وأغراضه فبدلاً من أن ينظم في موضوعات أمرو القيس وطرفه أو جرير والفرزدق أو بشار وأبي نواس نظم في موضوعات وأماني قومه .

وساعده على هذا الاتجاه وتربيته الحربية ، فإن فشل في حرب السيف فليحارب بالقلم وإن تكسر سنّ رحمه فليشرع سنّ قلمه وإن أخطأ النجاح في ثورة الضباط في السودان فليكتب له التوفيق في إثارة الأمة على الاحتلال .

ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت في شعره آمال أمته أولاً ، وآمال الشعب العربي .

كانت الأمة تشكو من فوضي الأخلاق وتشكو من الاحتلال وتشكو من تضييق الغرب على الشرق ، وكان زعماء الوطنية يلهبون حماسته ، ويشعلون غيرته ، وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ، - وكان حافظ – بماله من حس مرهف وعاطفة حساسة يجمع كل ذلك في نفسه فلما ثار على الشعر القديم وحطمه بنى على انقاضه شعره الجديد في الوطنيات والاجتماعيات والسياسات وكان شعره يقف موقف الصحافة الوطنية والخطباء الوطنيين وقادة الرأي الاجتماعيين يغش مجالس كل هؤلاء ويتشرب من أرواحهم ويستمد من وحيهم يغذي عواطفه من عواطفهم ثم يخرج ذلك كله شعراً قوياً ملتهباً في النفوس – وذلك شأن الشعر الحي – ما لا تفعله الخطب وشاعر السياسة والاجتماع ولم يجاره في ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة فتارة يقرع الأمة تقريعاً جارحاً ومؤلماً على استنامتها واخلادها إلى السكون واستسلامها للأجانب وهكذا يضطرب في شعره بين التفاؤل والتشاؤم واضطراب الأمة بين اليقظة والندم ، والعمل والتواكل والاصابة والخطأ فهو صدى لها في حركاتها ، وهو المدرس الحليم الذي يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

لم يشأ حافظ أن يكون في شعره في وطنياته طبلاً أجوف ، يقول القول عاماً لايستند إلى مادة من حقائق وإنما أتّخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية في عصره أساساً لدعوته أساساً وسنداً لهجمته .

فقد كان يتربص لكل حادث هام بعرض فيخلق منه موضوعاً لشعره ويملؤها بما يجيش في صدره .

تقوم حركة الجامعة ، ويحتدم الجدال بين أنصار الكتابين أنصار مزاياها ويكتتب هو بالشعر كما يقول ليكتتب قومه بالمال كان في شعره سجل الأحداث إنما يسجلها بدماء قلمه وأجزاء روحه سواء أضحك في شعره أم أبكي وأمل أم يأس .

ويتسع أفقه في كثير من الأحيان ، فينظر إلى الوحدة العربية والوحدة الاسلامية فكم قال في علاقة المصريين والشاميين وفي الدعوة إلى الإخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء وكم قال في علاقة مصر بالاستانة وتمني نهضة الخلافة ورفع لوائها وعودة مكانتها وكم شعر في وحدة الشرق وتعاونه وتبادل المنافع بين أجزائه فكان شعره مقرباً للقلوب ، داعياً إلى ائتلاف الشعوب ينتهز لذلك كل فرصة كافتتاح السكة الحديدية الحجازية وأعياد الدستور للأمة التركية وحفلات التكريم التي تشترك فيها أدباء الشرق ونحو ذلك ، بل أحياناً يزيد اتّساع أفقه .

ومما يتصل بناحية – حافظ الاجتماعية أشد اتصال – شعره في الرخاء فقد أكثر منه كما في ديوانه وقد قال في ذلك عن نفسه :

إذا تصفحت ديواني لتقرأني *** وجدت شعر المراثي نصف ديواني

وقد أجاد فيه كل الإجادة وأحسن كل الإحسان وسبب ذلك أنه استطاع في كثير من الإحيان أن ينقل الرثاء من مسألة فردية إلى مسألة اجتماعية فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر وعلى العالم الاسلامي وموت مصطفي كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد تصوير الفقيد صورة كاملة إلى المسائل العامة الاجتماعية وبذلك يجلس حافظ على عرشه ويقول في سهولة وجزالة ما برع فيه وفاق أقرانه .

ظل حافظ يغني بشعره التقليدي –أولاً والجديد ثانياً نحو خمسة عشر عاماً تنتهي سنة 1911م لما عرضت عليه وظيفة دار الكتب .

وطبيعي أن (الوظيفة) الحكومية لم تكن تتفق وشعر حافظ السياسي والاجتماعي فهو يدعو المصريين إلى الثورة على الانجليز وإلى الجلاء وحرام على الموظف وقتذاك أن يتكلم في السياسة وأن يتصل بالجرائد فكيف يسمح بالشعر السياسي عامة ولشعر حافظ خاصة .

وقد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصها التنوع كما أشرنا إلى ذلك قبل فلا تجد كثيراً من شعره في جمال الطبيعة ، بل لا تجد في شعره حباً قوياً ، كما تري في قصيدته في الشمس .

وسبب ذلك – على ما يظهر – أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجي كان مظهره الخارجي ضحوكاً مرحاً لا يراه الرائي حتى يضحك من ضحكه ولا يكون في مجلس حتى يملأه سروراً وضحكاً ولكنه في أعماق نفسه يذوب حسرات .

حيث أراد حافظ التجديد ولم يرده في البيان والأسلوب ، ولا في القوافي والأوزان ولا في البلاغة والشكل ، إنما أراده تجديداً في المضمون في موضوعات الشعر وأغراضه فنظمه في أغراض جديدة جعلها محور قصائده كالشعر الاجتماعي والوطني الاسلامي ، مما كان بلاغته وشاعريتهكانت هي الهدف الذي كان يرمي إليه فيما يقول من شعر ، حتى لو كان موضوع قصيدته في غيرها فلقد كان إذا رثى عظيماً أو حباً عاماً جديداً أو وصف منظراً .

آراءه في الحياة وآراء الباحثين والأدباء :

جاء حافظ إبراهيم بعد البارودي وقد اختلف فيه المختلفون كما تسهم فمنهم من زخرف القول في شعره وقارنة بشوقي ومنهم من توسط في حكمه ومنهم من اضطرب في أمره وفي جميع ذلك ظل (حافظ) له وجود وحضور وله كذلك ذكر عند منكور ومن ثم يعود بالسؤال :

أين مكانه أو أين مكانته على خارطة اللغة الشعرية !!

فإذا كان حافظ قد ضاق بالثبات ونادى بأن ندعه يشم ريح الشمال فتجدد لغة الشعر ويتجدد نسجه ، ولكن الذي تحقق كان فقدان البضاعة اللغوية أو فخامة النسيج ورصانة الأداء كما كانت لغة الشعر عند البارودي ، وإذا كان البارودي من أثر على شعر حافظ فإنه أثر اجتزاء الأغراض ومحاكاة الموروث حتى في التفصيلات والجزئيات مع مفارق واضحة تحسب للبارودي ولا تحسب لحافظ .

يعلق الدكتور أحمد أمين في مقدمة تحقيقه لدى ديوان (حافظ) على النص الغزلي السابق (.... لقد حاول حافظ أن يخلق بخياله قصة ولكنها خرجت قصة عرجاء ، تتخلخل على الأرض ، ولا تسبح في السماء ، قريبة المنال ، ومضحكة التصوير ... إذا يصف ذهابه إلى جبينه خفية ، فيقلد عمر بن أبي ربيعة في رائيته المشهورة ثم لا يحسن التقليد ولا يأتى خياله بجديد).

وقد تورط شوقي فيما تورط فيه حافظ وأن كان تورطه يخلو من سزاجه القص وصبيانية الحكي ويخلو كذلك من اصطناع البطولات الغرامية الوهمية (إن شوقي) يسوق نصه في مجال الغزل الذي يعرف أنه عنده أشبه بالمال صورة الشعر الذي لايستعصى عليه غرض شعري – على حسب التقاليد الشعرية – نحن نتقبله من هذا المنطلق فقط .

من هذا كان حافظ يطلب لقومه الحضارة والتقدم فهو – أولاً – يكتفي بالقدرة كما سبق على تنسيق المخترعات ثم ها هو ذا بعد طالباً أن (نزجر) كما هي عادة الجاهلين :

ولقد تزجرون الطير بما علمتم *** بما تحته من عثرة وشتات

ولعلنا نتذكر قصيدته التي عرضنا لها عن (مصر) والتي تتحدث عن نفسها فيستع الحديث فيها عن موتها وفنائها ، وهنا – في المنطق نفسه أي الفخر باللغة العربية كما الفخر بمصر – في قصيدته السابقة – يفاجئنا ويطاردنا الموت والفناء والقبر والبلي .

وتظل رائحة (الموت) تفوح في جسد قصيدته في تكرارية ردئية لفكرة تدور عن موت اللغة العربية إذا لم يحفل بها أصحابها كما يتضح في أدبيات تالية :

لا ابتسمت حياتي

وأدت بناتي

ابلي وتبلي محاسني

عز الدواء أساتي

لحين وفاتي

ثم يجتمع الموت في البيتين الآخيرين بمختلف مفرداته الميت – البلي وهل تختلف قصيدته عن الشعر اضطراب قول وتلجلج فكرة ، عما يماثله في قصيدته السابقة عن (اللغة العربية) أنه يزعم - هنا – أن الشعر قد ضاع بين القدماء وضاع بين المحدثين ولننظر إلى المفتتح الهابط في البيت الأول – مما يلي – حيث لا ندري كيف ضاع الشعر بين النهب والخيال ولا قيمة لهذه الكلمات المرصوصة كما في الشطر الثاني من البيت نفسه ولنلحظ تكرار الكلمات .

(ضعت بين) و (ضعت في) وعشت مضاعاً ، ثم يلغي حافظ قيمة الأغراض الشعرية – أو الموروث الشعري – مع أن حافظ لم يقل سوى ما قاله ما سبقوه هو – على حساب زعمه – كما في الأبيات التالية ، يرى أن الشعر ضاع لما فيه من تسيب ومرح وهجاء وغزل علق الدكتور طه حسين على قصيدة حافظ هذه قائلاً : فانظر إليه حيث يرثى الامام محمد عبده كيف غلبت طبيعته وكيف تحدث يستعذبون لذة الوفاة وهو متين رصين بديع الاسلوب لايعرف الضعف ولا الوهن إلى شعره سبيلاً .

ربما نلحظ من تعليق الدكتور طه حسين هذا الجنوح إلى حافظ فلا تخلو القصيدة من عاطفة خالصة ومع ذلك فإن التفاؤل المسطح والمتفكك والنثرية أو لقطات جياد .

ولعل أشارة إلى شوقي وفي رثائه – كذلك – لمصطفي كامل ، حيث يكاد يبعد عن مثلية – عند حافظ – والذي تتبلد فيه اللغة ، وتتجمد في مصفوفات أدائية راكدة ، أو مبالغات تتزين بخرق بالية من استعارة فاترة أو كناية فارغة أو تشبيهات باهتة .

تظل مرائي حافظ غير جديدة بما أسرف في تقريطها والاشادة بها (طه حسين) في تحامله الواضح حين يقارب حافظ وشوقي في كتابه المشهور (حافظ شوقي).

فإن العالم الأزهري الكبير الإمام الشيخ محمد عبده قد أمد حافظ بكل أفكاره الإسلامية والعقلية والوطنية والأدبية وكان محمد عبده رائداً للجيل الذي خلف جيله كان رائداً لجيل حافظ وشوقي وإلى البارودي ومحمد عبده يرجع له الفضل في شخصية حافظ ومكانته الشعرية .

وإذا كان طه حسين يرى في حافظ وشوقي أنهما أشعر أهل الشرق العربي منذ المتنبيء وأبي العلاء المعري ، فقد كان يري أن حافظاً أشعر وشوقي أقدر .

كان يذهب أبو شادي إلى أن شوقي هو زعيم الشعراء المحافظين وأن حافظاً هو شاعر المجتمع والجمهور .

الفصل الرابع

الفصل الرابع

القيم التربوية في شعر حافظ إبراهيم

المبحث الأول : نماذج من شعره وبيان ما يرمي إليه

المـــدح :

وحافظ في مديحه سائر على سنن القدماء فلم يكن الغالب –مجدداً ولا مبتكراً بل كان مديحه كالثوب الذي يصبح أن يخلعه على كل ممدوح .

أنشد حافظ بين يدي المغفور له سعد زغلول قصيدة على أثر قدومه من بلدته (مسجد وصيف) إلى القاهرة على الباخرة (دندرة) سنة 1926م استهلها بقوله :

ما بال (دندرة) تمسى تهادياً *** ميس العروس مشت على إستبرق

وكان حافظ موفقاً إلى حد ما في مدحه الذي ينظمه في المناسبات كالتهنئة بالعيد ، أو الترقية إلى منصب وبخاصة إذا كانت تربطه بالممدوح وشائج من الحب الصادق وأواصر من التقدير والإكبار ، كمدائحه في الأستاذ محمد عبده وسامي البارودي واقرأ قوله في تهنئة الإمام بمنصب الإفتاء :

رأيتك والأبصار حولك خشع *** فقلت (أبو حفص) ببدريك أم (علي)

وخفضت من حزني على مجد أمة *** وكنت لها في الفوز قدح (ابن مقبلي)

وجددت للفتيا حسام عزيمة *** بجدّية آيات الكتاب المنزل

محوت به في الدين كل ضلالة *** وأثبت ما أثبت غير مضلل

الرثاء :

لعل فن الرثاء أهمَّ فنون شعر حافظ إبراهيم بل أنه الفن الذي بدّ فيه شعراء عصره وساهم وأنت تحس في رثاء حافظ بصدق العاطفة ووفرة الإحساس ، لأنه كان كان وفياً غاية الوفاء فإذا فقد صديقاً جزعت نفسه أشد جزع وانطلق لسانه يعبّر عن ذلك في ألفاظ كأنّها نسيج ثوب من لحزن . إلى أنّ حافظ كان شديد الخوف من الموت وبخاصة حينما تقدمت به السن فكان يتوهم المرض ويعتقد أن الموت قريب

منه ، فإذا قضى له حبيب أو صديق إرتاع لذلك وأيقن أنّه نزير بقُرب منيته ... يقول في ذكرى الإمام محمد عبده سنة 1922م من قصيدته ضمنها رثاءه للمرحوم مفتي ناصف .

إذنت شمس حياتي بمغيب *** ودنا المنهل يانفس خطيبي

قد مضي (مفتي) وهذا يومنا *** يتدانى فاستسيبي وأنيبي

ذكري الموت لدى النوى ولا *** تغفلي ذكرته عند الهبوب

راعني فقد شبابي وأنا *** لا أراع اليوم من فقد مشيبي

فقد أصيب الذين بثغرة ينفذ منها المتحاملون عليه ، لأنه حاميه الأكبر قد قضى .

تباركت هذا الدين دين محمد *** أيترك في الدنيا بغير حُماه

تباركت هذا عالم الشرق قد قضى *** ولانت قناة الدين للغمزات

أنشد حافظ قصيدة في الحفل الذي أقامه أعضاء البرلمان في 24 يوليو سنة 1924م بكازينو سان استفانو بالاسكندرية ابتهاجاً بنجاة المغفور له سعد زغلول وتوديعاً له بمناسبة سفره إلى لندن لمفاوضة الإنجليز وقد استهلها بهذه الأبيات :

الشعب يدعوا الله يازغلول *** أن يستقل على يديك النيل

إن الذي أندسى الأثيم لقتله *** قد كان يحدسه لنا جبريل

أيموت (سعد) قبل أن تحيا به ***خطبٌ على أبناء مصر جليل

ياسعد إنّك أعظم عـــدّة *** ذخرت لنا نسطو بها ونصول

وحين نقرأ المقدمة التي صدر بها ديوانه القديم نجده يحصر المثل الأعلى للشعر في محاكاة الشعراء المتقدمين من رجال العصر الأموي والعباسي وهو بذلك متأثر من غير شك من أستاذه البارودي وقد أشار شوقي في رثائه لحافظ إلى إعزازه القديم وإيثاره فقال :

ياحافظ الفصحى وحارس مجدها *** وإمام من نجلت من البلغاء

ما زلت تهتف بالقديم وفضله *** حتى حميت أماني القدماء

الوصف :

لم يبرع حافظ في فن الوصف ، وما كان له أن يبرع فيه وأكثر شعر الوصف عنده لا يهز مشاعرك ولا يملأ جوانب نفسك ولا ينال منك ذرة من إعجاب فقد شغله بؤسه وشغله تندره بالناس عن أن يتأمل ما في الطبيعة من جمال وسحر ولذلك جاء وصفه جامداً هامداً وأقرأ له مثلاً قصيدته وصف (الشمس) التي مطلعها :

أيها الرافلون في حُلل الوشى *** يجرون للذيول افتخارا

إنْ العراء قوماً جياع *** يتوارون ذلة وانكسارا

ويندد بسراة القوم الذين يبسطون أيديهم بالأموال على ملذاتهم وفي أفراحهم وهم غافلون عن مواطنيهم البائسين الذين نكرتهم الخطوب ولا يجدون من يقيل عثراتهم قيل :

قد شهدنا بالأمس في مصر عُرساً *** ملأ العين والفؤاد ابتهاجا

سال فيه النضار حتى حسبنا *** أن ذاك الغناء يجـرى نضارا

وهذه القصيدة قد بدّت – في نظري – قصيدة شوقي التي قالها في وصف هذه الكارثة ومطلعها .

لاح منها حاجب للناظرين *** فنسوا بالليل وضاح الجبين

تره يرسم خطوطاً لقصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع الشمس التي زكرها الله تعالي في سورة الأنعام بقوله (فلما رأي الشمس بازغة قال هذا ربَّى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إنّى بريء مما تشركون) (صدق الله العظيم).

كما قرر حادثة تاريخية من غير أن يستشعر صلة روحية بينه وبين الشمس .

نظر إبراهيم فيها نظرة *** فارى الشك وما ضل اليقين

قال : ذا ربي ، فلما أفلت *** قال : إنى لا أحب الأفلين

ودعا القوم إلى خالقها *** أتي القوم بسلطان مبين

رب إن الناس ضلوا وعدوا *** ولا وافي الشمس رأى الخاسرين

خشعت أبصارهم لما بدت *** وإلى الأذقان خروا ساجدين

ثم أخذ بعد ذلك يسرد أثر الشمس في الكائنات على نحو ما يدرسه تلاميذ المدرسة في علم الطبيعة .

هي أم النار والنور معاً *** هي أم الريح والماء المعين

هي طلع الروض نوراً وجنى *** هي نشر الورد طيب الياسمين

وربما كان أجمل ما في القصيدة أنه رد على مزاعم من كانوا يعبدونها بأن إلههم لا ملك أن ينبغي عنه نفسه الكسوف .

إله لم ينزه ذاته *** عن كسوف بئس زعم الجاهلين

ولكن جمال البيت جاء من الناحية العقل والمنطق لا من ناحية العاطفة والإحساس.

وعلى كل حال فالقصيدة كما رأيت وليدة من الروح والحياة مع إنَّها أشهر قصائده الوصفية .

في مدحه محمود سامي البارودي باشا ، نشرت في 5 أغسطس سنة 1900م يقول:

تيممتهاواللیل في غير زيه *** وحاسدها في الأفق يقرى بي العِدا ([1])

تيممتها قصدت إليها ، ويريد بقوله في غير زيه ، أنه ليل مقصر ليس في هيئة المعمودة من السواد أو الظلمة .

يريد (بالحاسد) (هنا) البدر لشبهها به في الجمال .

دعابة كتب بها إلى صديق له وكانت جواباً عن قصيدة دعابية بعث بها إلى هذا الصديق ويقول فيها :

فترى المعاني الفارسية *** في مغاني الأسطر

أو من عتاب بين محبوب *** وحب معذر ([2])

أو فترة أضاعها *** القاصر عند الميسر ([3])

ويقصد بالمعاني الفارسية ، أي البديعة ، وقد نسبها إلى فارس لأنهم كانوا أهل إبداع وفنون والصورة البلاغية أنه شبه الأسطر المحتوية على المعاني بالمغاني وهي المنازل المسكونة وفي البيت التالي (الحب) بالكسر : المحبوب والمعذر : المنصف العادل وأنه قصر فيما يرضي محبوبه ويشبه لذة معانيه بلحظة لعب في الميسر الغرض هنا المدح .

---

[1] - من ديوان حافظ براهيم – ص 53

[2] - معذر: لبمنصف العادل

[3] - القاصر : المقاصر

أيضاً في قصيدة شكر وزير زار حافظاً في منزله يقول فيها :

لا غرو إنْ أشرق في منزلي *** في ليلة القدر مُحَيَّا الوزير

فالبدر في أعلى مجاراته *** للعين يبدو وجهه في الغدير

يقول في هذين : إن الوزير على سمو منزلته قد أشرق نوره في منزلي على صفته ولا عجب فالبدر في السماء تظلم صورته في غدير الماء.

الصورة البلاغية تشبيه ، شبه البدر بالقمر.

وفي قصيدة الحاكي التي نشرت في سنة 1900م يقول :

وجدوا السبيل إلى التقاطع بيننا *** والسمع يملكه الكذوب الحاذق

لا تجعلي الواشون رُسلك في الهوى *** فلأ صدق الرسل الجماد الناطق

يصف في البيت الأول الوشاة وأنهم أصابوا السبيل لأمتلاك سمع من يحبها بما يلقون إليها من أكاذيب وما أقدر الكذوب على ذلك .

وينهاها في البيت الثاني من أن توسط الوشاة بينه وبينها فإن فعلت فليكن الرسول ذلك الحاكي فهو الجماد الناطق الصادق ، القيمة التربوية هي قيمة الصدق .

المبحث الثاني

القيم الإسلامية

كان حافظ يكتب شعره في الجانب الإسلامي ما ينظم القصائد الطوال في الذكريات الإسلامية الكبرى ، يستقبل ميلاد كل عام هجري جديد بإحدى روائعه وكان الإمام محمد عبده يذكي فيه هذا الروح ، إذ كان لا يجد أجدى في مقاومة المحتل من بث الروح الإسلامية في النفوس ونشرها في الصدور والقلوب وعمرية حافظ وهي قصيدته الطويلة في سيرة عمر بن الخطاب مثل من الأمثلة على شعره الرفيع المنزلة في البلاغة .

مفهوم القيم التربوية :

هي مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة ، ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولاً من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجسد في سباقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته أو اهتماماته .

تعريف القيمة لغة :

يكثر استخدام مصطلح القيم ، والقيمة والأحكام القيمية في مجال التربوي فنجد لفظ القيم في اللغة جمع قيمة وأصل الياء واو ، لأنها من مادة (ق و م) والتي تدل على انتصاب أو عزم .

القيمة اصطلاحـاً :

لقد تعددت الاتجاهات واختلفت المدارس العلمية في تحديد مفهوم القيمة وتناول الباحثون إيجاد معني اصطلاحي للقيمة ومن ثم فإن المعني الإصطلاحي للقيمة يختلف باختلاف الاتجاهات والآراء وتناول الباحثون في ما يلي أبرز أهَّم المفاهيم

نصل بعد ذلك إلى تحديد واضح إلى مفهوم القيم ومعناها .

مفهوم القيمة عند علماء أصول التربية :

الممكن من خلال ما كتبه بعض الباحثين التربويين القيمة محطات ومقايس تحكم على الأفكار والأشخاص والأعمال والموضوعات والمواقف الفردية والجماعية .

القيمة هي: عبارة عن مفهوم أو تصور ضمني يميز فرداً أو تختص بجماعة لما هو مرغوب فيه أو جوياً مما يؤثر في انتقاء الأساليب للعمل وغايته .

القيمة في القرآن الكريم :

في مجال العبادة الخالصة لله تعالي قال تعالي (وذلك دين القيمة) .

دعـوة حافظ إبراهيم إلى مكارم الأخلاق

من هذا المبحث هو التحدث عن التربية الأخلاقية فلذا لابُدَّ من الوقوف على ماقاله حافظ إبراهيم التربية هنا صناعة الإنسان، ليست عملية عفوية سهلة بل هي أشرف الصناعات وصناعتها تؤثر على كل أنواع الصناعات .

للأخلاق أهمية التربية القديمة في تكوين المجتمع العربي المعاصر في الوقت يجب الأ ننعزل عن التربية الإسلامية القديمة لأنها كما ذكرنا مهدت وحدة الشخصية حين تجاوزت تربية الزكاة للوصول إلى تربية الطبع .

وهكذا فقد جاء الإسلام غارساً لكل هذه القيم التربوية وبذلك فقد جبَّ كل ماقبله من مفاهيم سيئة وموطدة للمفاهيم التي تشكل دائرة من مكارم الأخلاق واستمر الشعر بعد أن تهذب الشعراء وتشربوا ماء الإسلام واستدرك كثير منهم أنه ليكون مرضياً عن شعره متمشياً مع دينه عليه أن يلتزم بكل مظاهر الخير وأن يتقيد بكل تعاليم الإسلام وهكذا – ولد شاعرنا- حافظ إبراهيم داعياً إلى مكارم الأخلاق كما قال صلى الله عليه وسلم : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

وهكذا فقد انبرأشاعرنا مربياً أبناء العروبة تربية أخلاقية رفيعة مقتبساً الأخلاق من تجاربه وحنكته جاعلاً ذلك سجلاً للمثل والأخلاق العربية والوثائق التربوية الشعرية محبباً ذلك إلى نفس الفتي العربي ومسجلاً للشعر دوره السامي في مجال التربية بصورة يمكن استخدامها في التربية الحديثة ومثل هذا الشعر يعتبر من الأدب الرفيع والشعر السامي وهذا الشعر إن دلّ إنما يدلُّ إلى عناية حافظ بتربية الأبناء وحرصه على السمو بأخلاقهم لأن التربية في الشعر التربوي خلقية أولاً ولا غرابة فهي نابعة من مصدر ديني والأخلاق أصل من أصول الدين وقد حوى شعر حافظ بياناً وأظهر كشفاً بالأصول الأحقية للسلوك الإنساني كما فيه بياناً عن البواعث الخلقية ونظر في الحكم الأخلاقي وفي الغاية من الفعل الخلقي وهو في ذلك يعطينا صوراً كثيرة جاء ذكرها في القرآن الكريم الذي هو أصدق كتاب في العالم قاطبة .

ويتجلى لنا شعر حافظ التربوي الداعي إلى ضرورة الإنفاق ومكارم الأخلاق في قصائد كثيرة تضمنتها أجزاء ديوان شعره وقد قال في إحدى هذه القصائد التي هنأ بها الملك فؤاد بعيد جلوسه وذلك على الرغم من أن حافظ أصبح لا يحترم الملكية الإنجليزية وذلك بحكم ما لاقاه من عنت ومن مشقة في ظل الحكم الإنجليزي ومارآه في بلاده من دمار واغتصاب للحقوق وتبديد لممتلكات الشعب ولكنه ما فعل ذلك إلا مداراة للغاصب إلى حين التمكن منه وفي مدحه يقول :

جددت عهد الراشدين *** تقي وإحساناً وزهداً

جلت صفاتك كم محوت *** أسى وكم أوريت زنداً

وترى عليك مخايل الخلفاء *** إنصافاً ورشدا

أعطيت لامتريحاً *** أو مخفياً في الجود قصدا

فهذه دعوة إلى الشباب كي يتخلقوا بأخلاق الخلفاء التي هي النقي والإحسان والزهد والإنصاف والرشد ومحو أحزان الضعفاء والمساكين واليتامي بمساعدتهم وتخفيف مصابهم وهذه بدورها دعوة إلى التعاضد والترابط الاجتماعي بإغاثة الملهوف والاستجابة للسائل المحتاج وهنا أيضاً يلفت نظرنا حافظ إلى أنّه من يفعل تلك المكارم يجب أن يكون مؤمناً حقاً وما يفعلهنابعاً من ضميره ومقصوداً لذاته غير مترابحاً ومترغباً من وراء هذا المعروف جزاء ولا شكوراً ممن أنعم عليهم بل قاصداً بذلك وجه ربه وبذا يكون حري بجزاء ربه الذي هو خير وأنهم من جزاء العباد.

وكذلك يمضي بنا حافظ في مسيرة جنوحه نحو شعر تربوي أخلاقي إذ بنار تشب في مدينة (ميت غمر) إحدي أعمال الدهيلية ذلك يوم الخميس الأول من مايو 1902م وبقيت تأكل كل ما تأتي عليه في هذه المدينة حتى الخامس من مايو إلى مايزيد عن الأسبوع وقد هلك بسبب هذا الحريق كثيرون وتدمرت كثير من الدور والمحال ولعظم النكبة تألفت جماعة من الأعيان لتخفيف ويلات هذا المصاب وتسابق أهل الخير فجاءوا بالمال الكثير وحضت الصحف على التبرعات فأبت نفس حافظ إلا أن تمد باعها الطويل مؤثرة بذلك في النفوس الراكضة تستنهضها من غفوتها وتشهدها على عظم النكبة كي تدلي بدلوها وذلك بمد يد العون لتلك المصابين وفي ذلك يقول حافظ :

أيها الرافلون في حلل الوشى *** يجرون للذيول افتخاراً

إنّه فوق العراء قوماً جياعاً *** يتوارون ذلــة وإنكساراً

أيهذا السجين لا يمنع السجن *** كريماً من أن يقـل العثارا

مُر يألف لهم وإن شئن زدها *** واجزهم كما أجرت أنهارا

وهكذا بلغت حافظ الغافلين الذين يتبخترون في ثيابهم الموشية بأن يتذكروا إخوانهم الذين يلتحفون العراء ويستظلون السماء بعد أن فقدوا المأوىوالمآب جياعاً حفاة عراة لا يجدون ما يسكت أصوات جوعاهم وصغارهم .

وأن يجيرهم كما يجير النصارى الذين لا تربطهم بهم صلة رحم ولا دين ولا لغة إذا لجأوا إليهم في وقت الشدة .

كذلك قال حافظ في أبيات من قصيدة مخاطباً رجال الدنيا الجديدة والتي أنشدها . يمدح فيها رجال الدين الذين هم قد يكونون سبباً في تعاسة وفي اغتصاب حقوق شعبه وعدم لحوقهم بركب التعليم وفي هذه الأبيات يقول :

إن فينا لولا التخاذل أبطالاً *** إذا ما هم استقلوا اليراعا

وعقولاً لولا الخمول تولاها *** لفاضت غرابة وابتداعا

ودعاة للخير لو أنصفوهم *** ملأوا الشرق عزة وامتناعا

في هذه الأبيات ينبهنا حافظ إلى العلل التي تبسط معهم الشعب ألا وهي التخاذل والخمول وعدم إنصاف الحقوق وما فعل حافظ ذلك إلا لمعرفته إنها داء عضال يفت في عضد الأمة التي تصاب بهذه الصفات .

كذلك قال في قصيدة حث فيها على تعضيد مشروع الجامعة التي أنشدها في الحفل وفيما يقول :

إن كنتم بذلتم المال عن رهب *** فنحن ندعوكم للبذل عن رغب

هذا هو العمل المبرور فأكتبو *** بالمال إنا اكتتبت فيه بالأدب

يوضح فيها قيمة تربوية وهي مجابهة الإنسان لنفسه وتطبيقها لعمل الخيرات وفق رغبة جادة طائعة وليس عن طريق القهر والكبت والجبروت وألا يكون الإنسان إمعة يقول أنا مع الناس أن أحسنوا أحسنت وأن أساءوا أسأت وهذا العمل المبرور الذي يبر صاحبه في دنياه وآخرته وذلك أن صدق وأتقنه وصدق النية فيه.

وأيضاً قال حافظ في قصيدة قال فيها :

حياهم الله أحيوا العلم والأدب *** إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا

صنعوا القلوب أساساً لا أقول *** صنعوا النضار فإني أُصغر الذهبا

وأبنو بأكبادهم سوراً لما دعوا *** قيل العدو فإني أعرف السببا

لا تقنطوا أن قرأتم ما يزّوقة *** ذاك العميد ويرميكم به غصبا

وأرغبو يوم لاتغني حصائده *** فكل حي سيجزي بالذي اكتسبا

وهنا يدعو حافظ لمن يحي العلم والأدب ، ألا وهي تحية من الله عزو وجل كما يبنه حافظ إلى أن من ينشر العلم والأدب يبعث الله فيه مجد العرب .

أولاً : يدعوا حافظاً هؤلاء الرجال لأن يصنعوا اللينة الأولي لهذا البيان لينة أساسها قلوبهم وهذه لغته بلاغته تبرهن على أهمية الموضوع وما يجب أن يكتنفه من الجدية والمثابرة ويرى أن مثل هذا الصرح لا ينفع فيه مجرد المال والذهب .

ثانياً : ولا يقف حافظ عند هذا الحد بل يرى ضرورة تسوير هذا الصرح بأكباد الأمة وأهل الإحسان وهذه أيضاً لغه بلاغته تدل على ضرورة الحماية لأن السور هو رمز الحماية وهنا يوضح حافظ أن من جعل قلبه أساساً وكبده سوراً فبعد ذلك لا يستطيع أن يفرط في ذاك الشيء لأنه رمز لحياته ولا يفوت حافظ أن مثل هذه المشاريع محفوفة بالمخاطر وخاصة قبل الاستعمار وعميده الذي يرى أن أهل مصر ليسوا *** أهلاً للتعليم العالي والتقديم

تتجلى دعوة حافظ إلى مكارم الأخلاق والسعي في قصيدة مطولة مدح بها عمر بن الخطاب هو مثال للأخلاق والقيم .

ويقول :

رأيت في الدين رآءً موفــقة *** فـــأنزل الله قـراناً (يزكيها) ([4])

خرجت نبغي أذاها فــي (محمدها) *** وللــحنيفة جــبار (يواليها)[5]

فلم تكد سورة الآيات بالــغة *** حتى أنكفأت تناوي مـن يناويها[6]

سمعت سورة (طه) من مرتلها *** فزلزلت نية قد كنت تنويها [7]

وقلت فيها مقالاً لا يطاوله *** قول المحب الذي قد بات يطويها ([8])

ويوم أسلمت عز الحق وارتفعت *** عن كاهل الدين أثقال يعانيها [9]

وصاح فيه (بلال) صيحة خشعت *** لها القلوب ولبت أمر باريها [10]

وفي هذه الأبيات يذكر حافظ مناقب عمر وماخصه الله به من كرامات حيث أنه كان يري الرأي فينزل به القرآن حتى بلغت موافقاته نيفاً وعشرين آية منها آية التحريم في الخمر لما قال (اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً) ومنها آية الاستئذان في الدخول وذلك عندما دخل عليه غلامه وكان نائماً فانكشف من شئ فقال (اللهم حرم الدخول) فنزلت آية الاستئذان ..... الخ.

ويذكر حافظ أن عمراً كان شديد على النبي صلي الله عليه وسلم والمسلمون قبل إسلامه ثم كان منه إعزاز للإسلام بعد دخوله فيه ثم يحكي حافظ سبب إسلام عمر وذلك أنه خرج في في يوم من الأيام ليوصل أذاه للنبي صلى الله عليه وسلم فلقيه نعيم بن عبد الله وأخبره بإسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد وعيره بذلك فرجع عمر إليها غاضباً وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئهما إياها فلما دنا عمر من البيت سمعهم وأحسوا هم به فاختفى خباب ودخل عمر فعثر على الصحيفة وقرأ ما فيها فأعجب به وأطراه ومال قلبه إلى الإسلام فقصد النبي صلى الله عليه وأسلم على يديه وأنعكست تلك النية التي كان ينويها من إيذاء

---

[4] - يزكيها : يعززها ويؤيدها .
[5] - يواليها : يناصرها وهو الله تعالي
[6] - أنكفأ : رجع تناوي : تعادي
[7] - تنويها : النية التي كان ينويها عمر قبل إسلامه من إيزاء الرسول (ص)

[8] - لا يطاولها : لا يغالبه - أطراه : يطريه أي أحسن الثناء عليه وبالغ في مدحه .
[9] - الكاهل : مقدم أعلي الظهر مما يلي العنق
[10] - بلال : هو ابن رباح كان مولي لأبي بكر فأعتقه وأصبح مؤذناً للرسول (ص) .

الرسول صلي الله عليه وسلم وقد أحسن الثناء على هذه السورة – طه – التي كانت سبباً في تحوله من ظلام الكفر إلى نور الإيمان .

ثم يشير حافظ إلى إظهار المسلمين أمر دينهم بعد أن كان سراً وماكان ذلك إلا سبب إسلام عمر وجهر بلال بالآذان ولا يخفي هذه البادرة من قوة لعمر إذ كان المسلمون قبل إسلامه في مركز خوف وحيطة وحذر.

فتسابقوا الخَيراتِ فهيَ أمامَكُمْ *** يَدانُ سَبقٍ للجَوادِ النّال [11] .

المُحسنُون لهمْ على إحسانِهِم *** يوم الإثابةِ عَشرةُ الأمْثال [12]

وجزاء رَبَّ المُحسنين يجل عنْ *** عَمدَّ وعَن وزن وعنْ مِكيالِ [13]

ومن قصيدة رعاية الأطفال الذي نشدها في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في الأوبرا والقيمةفي هذه الأبيات هي قيمة الكرم والجود والعطاء الذي يتسابقون إليه الناس .

كما في قوله تعالي : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)

بألذ من خلق كريمٍ طاهرٍ *** قدماً تحته سلامة الأذواقِ

فإذا رُزقت خليقةً محمودةً *** فقد إصطفاك مقسم الأرزاق

فالناسُ هذاظهُ مالٌ وذا *** عِلمٌ وذاك مكارم الأخلاقْ

من قصيدة مدرسة البنات ببورسعيد أنشدها في حفل أقيم ببورسعيد لإعانة تلك المدرسة وفي هذه الأبيات يتحدث لنا عن مكارم الأخلاق .

وبأنفس كم جشمتك الصبر والرضاء *** وجشمتني أن ألبَسَ المجدَ مُعلماً [14]

فما أستطعتِ أنتسلّى مُرَّ طغمة *** وما استطعت بين القومِ أنْ أتقدَّما [15]

والغرض البلاغي : تشبيه المجد به في وضوحه وظهوره ويشير لنا في البيتين إلى الصبر والرضا .

لا تذكروا الأخلاق بعد جيادكمْ *** فمصابكم ومُصابنا سيَّان

---

[11] - الجواد : الكريم - والنل : الكثير النائل وهو الغطاء
[12] - الإثابة : الجزاء
[13] - الخليقة : السجية والطبيعة
[14] - جشمتك : كلفتك
[15] - استمرأ الطعام : استطابه واستساغه

حازيتم أخْلاقكُم لتحاربوا *** أخلاقنا فتألم الشعبان

وفي هذه الأبيات يشير إلى الأخلاق وهي من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف .

مَعنىً ألذُّ مِن الشماتة *** بالعدو المديد

أوْ مِنْ عتابٍ بني محبوبٍ *** وحبِّ معذر [16]

دعاية كتب بها إلى صديق له . الغرض البلاغي هو القصر .

كافَحَ الموج صَارع الهولَ أبلى *** كبلاءِ المهنُّد الصمصام [17]

وانثْنى راجعاً إلى شاطئ النَّهر *** رجُوع الكمى غِبَّ اغتنام [18]

يشير إلى هذه الأبيات بالشجاعة والهيبة ويصف لنا قوة السيف بأنه لا ينثني .

رأكباً رَاسَه طريداً شريداً *** لايُبالِ شِرعةٍ أو ذمام

سائلاً عن وصَيةِ الله فيه *** آخذاً قُوته بحد الحسام

بما جاء في الشريعة الإسلامية بأن الله أمر بالبر والرحمة للفقير :

ما زلْتُ أوسع محنتيِ *** صبراً وأحْتمِل العذابْ

حتىَّ تنفس صُبْحُ *** إقبالي ونَجْمُ النَّحس غابْ

قصيدة الجمعية الخيرية الإسلامية تحتمل قيمة تربوية وهي الصبر الغرض البلاغي هو استعمال مجازي في تنفس الصبح .

---

16 - المعذر : المنصف العادل

17 - المهند : السيف والصمصام : الذي لا ينثني

18 - لبكمى : الشجاع ، وغب : عقب

من أهم النتائج :

1.لا حظ الباحثون من خلال تتبعهم لشعر حافظ إبراهيم إن مجموع آرائه تشكل فصلاً خاصاً في التربية الفاضلة وتربية المثل العليا ولا أن هناك غيره من الشعراء قد يشاركه هذا الغرض ممن وقفوا على التربية التي تفيد وأثبتوها شعراً لمكانة الشعر في النفوس .

2.كما لاحظوا (إن لكل شاعر من الشعراء الذين تحدثوا عن التربية لكل منهم أسلوبه الخاص في غرس القيم والمثل فبعضهم يلجأ إلى بيان السلبي من القيم وفضحها ليأخذ المتربي بما يخالفها من قيم إيجابية وبعضهم يلجأ إلى المباشرة في التعليم المثالي الهادف ([19]).

وقد سلك شاعرنا حافظ إبراهيم عدة ضروب من هذه الأساليب كما أنّه لجأ في بعض الأحايين إلى أسلوب السخرية والتهكم .

3.كما لاحظنا أن التعليم المراد منه إحداث تغيير في سلوك الفرد يفترض أن يأتي من إنسان تراكمت لديه الخبرات ليكون قادراً على استخدام الأسلوب الملائم والمؤثر في نفس المتعلم الإيجابي في سلوكه وأننا نقول – إن شاعرنا حافظ إبراهيم قد تراكمت لديه الخبرات وعركته الحياة كما جاء في دراسة نشأته وحياته.

[19] - د. علي الشواخ اسحاق الشعيبي – ملامح تربوية في الشعر الجاهلي والاسلامي – 1986م .

ويرى الباحثون أن للفضائل دور كبير في إحداث السلوك المطلوب وهذا ما يبرر استخدامنا لشعر حافظ التربوي القائم على تقديم الفضائل لعامة الأمة بقصد تنمية المثل العليا في صدورها ومن المفيد لها أن تطلع على بعض هذه الأشعار .

4.القيم التربوية في شعر شعراء لا يهمل بما في كثير من الأبيات .

التوصيات :

قد ظهرت بوادر التربية العربية منذ زمن الجاهلية على هيئة وصايا وآراء تربوية يديرها العربي لأبنائه وحيث تعاقبت العصور بعد العصر الجاهلي أصبحت التربية عملية بنائية متكاملة يشترك فيها الآباء والأمهات ولكن يجب أن تمر هذه التربية عبر بوابة الأخلاق الفاضلة .

1-نوصى الجميع شيباً وشباباً بتقوي الله لأنها أمر كبير بوجود شخصية متزنة في مناحيها الكثيرة المختلفة أتزان بين الروح والجسد واتزان بين المعرفة والوجدان وبين الفكر والعمل وبين الإدارة والمسؤولية .

2-كذلك نوصى كل أب وأم إن يسعيا قدر جهدهما إلى تربية الناشئة التربوية الفاضلة وأن يعدهما إعداداً لائقاً يحوطه التكاتف والتآذر والمشاركة وبذلك تعم المنفعة بهم ومنهم لهم .

كما نوصى بضرورة تشجيع الأدباء الناشئين بشتى الوسائل والسبل من قبل الدولة وخصوصاً الذين تشبعوا بروح الوطن والوطنية وأن يوجهوا من قبل رجالات التربية ويشجعوا على الكتابة في المواضيع التي ترتقي بالقيم والأخلاق الفاضلة والتي تحد من الفساد والتقليد الأعمى .

كما نوصى بضرورة قيام مؤسسة يكون هدفها رعاية الناشئة من الأدباء وتنظيم نتاجهم الأدبي وتحفيذهم ودراسة حالاتهم وحل المشاكل التي تعترض طريقهم الأدبي .

المقترحات :

1-دراسة تحليلية تقيمية لشعر شاعرنا ومحاولة تطبيقها بقيمها في حياتنا .

2-أثر البيئة على الأطفال في التنشئة الشعرية .

3-إجراء دراسات للموازنة بين شعراء العرب والقيم الموجودة في كل من العصر الجاهلي والعصور الأخري .

4-محاولة فهم القيم التي توجد في الشعر بصورة سليمة لا شفوية .

خاتمة البحث :

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات وأحمده أن يسر لنا تستطير هذا البحث المتواضع عن القيم التربوية في شعر حافظ إبراهيم ولست أدعي أن بحثنا هذا في شعر حافظ إبراهيم في هذه العجالة قد استوفي كل نواحي القيم التربوية قيمة ففي نظرنا أنه لا يزال أمام البحث في هذا الشعر مدى بعيد ومستقبل حافل بل أطمح إلى إثارة التساؤل عن القيم التربوية في شعر حافظ إبراهيم وإلى فتح آفاق إلى من تسول له نفسه الولوج إلى هذا المنبع ونسأل بعد الله له الانقلاب من شرنقة الاستسلام إلى فضاء حرية تؤكد قدرة الذات المنقبة الواعية على اكتشاف ما في شعر حافظ إبراهيم من قيم تربوية وصياغتها في صورة جديدة .

وأخيراً لا يسعنى إلا أن أقول إن كان هذا البحث قد حقق بعضاً مما أطمح إليه فقد أكتسب لنفسه مبرر وجود وإن كان أخفق فلعل هامزاً آخر او معالجة أن يفلحا ونعود إلى حافظ إبراهيم بعد تجوالنا المضني الممتع في نتاجه الأدبي وأقول أنه حقاً رائداً من رواد الفكر التربوي فعلى الرغم من بؤسه وشقائه فقد أثرى الساحة الأدبية بقصائد ستظل نبراساً يهتدي به في تربية النشئ وتزكية النفوس فلو كان هذا الشاعر وجد مساعدة مادية من شعبه تكفيه شر التقيد بالوظيفة والانكسار أمام بغي المعتدي لملك صداه – في هذاالمضمار – ألجو دون سواه من شعراء زمانه.

قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم .
2. ديوان حافظ إبراهيم – ممدوح الشيخ – مكتبة جزيرة الورد – القاهرة – 2008م .
3. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاد اللغة العربية – أحمد الهاشمي – دار الكتب العلمية – بيروت – سنة الطباعة 1433هـ - 2012م لبنان ، الطبعة الرابعة .
4. لغة الشعر – قراءة في الشعر المعاصر – الدكتورة / رجاء عيد – منشأة المعارف – جلال حزي وشركاه – 44 شارع سعد زغلول – الاسكندرية – 1985م .
5. الأدب العربي الحديث – د/ محمد عبد المنعم خفاجي – مكتبة الكليات الأزهرية – حسين محمد أحبابي وأخوه محمد – الصادقية – الأزهر القاهرة .
6. دراسات في الشعر العربي المعاصر – شوقي ضيف – مكتبة الخانجي بالقاهرة ومكتبة المتنبيئ ببغداد .
7. علم النفس الاجتماعي – فؤاد البهي – القاهرة : دار الفكر العربي 1985م.
8. فلسفة التربية الاسلامية – ماجد الكيلاني – مكتبة الهادي – 1988م .
9. القيم الخاصة لدي المبدعين – محي الدين أحمد حسين – دار المعارف – القاهرة – 1998م .
10. نحو منهج اسلامي في التربية والتعليم – عباس محجوب – مؤسسة علوم القرآن – عمان – 1987م .

11. لسان العرب – ابن منظور – دار المعارف – القاهرة .